نـافـذة

الأيادي التي في النّار

ليست كتلك التي يدغدغها الماء، نحن من يكتوي ونتحرّق ونحترق، نحن الذين امتلأت قلوبهم بالأحزان، وعيونهم بالدموع الخفية والظاهرة، الباردة والحارة، نتجه إلى جميعنا، نسأل تكويننا الذي نسجنا منه، كم بقي من الأبواب، النوافذ، الشوارع، الأرياف والمدن؟ بشكل أدق الوطن برمته، وما يحتويه من حياة تشهد، ووطن يشهد حجماً مذهلاً من المعاناة، يجتمع عليه القاصي والداني، يتشابه في التفاعل مع محنته الصديق مع العدو، فكلاهما يجلس على المدرجات، يراقب اللعبة، يتحكم من خلال أجهزة تحكم عن بعد باللاعبين على الأرض، كرّ وفرّ، تقدّم هنا، وتراجع هناك، مصالحات غير ناجحة في حقيقة أمرها، هدنة بين المتقاتلين، بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الخير والخير، وبين الشر والشر، الكلّ متأزم ومأزوم ومرتبك وقلق، تشرّد تشرذم، لجوء إلى المخيمات القريبة والبعيدة، هجرات عبر كل الوسائل، يتنوع الموت بين البحر والبر، يتطور الجهل ضد وطن، يدفع الآباء بأبنائهم إلى المجهول، من خلال استشعارهم لمجريات الأحداث، فقاعدة الحروب تتحدث أن الأبناء في السلم، يدفنون الآباء، أما في الحرب، فالآباء يدفنون الأبناء تحت ضغط هول المأساة التي لا تعرف الرحمة أو الشفقة متمسكين بنظرية الدفاع الوطني.

أستشرف الواقع وما تسمعه الجدران من أحاديث تجري خلفها، وروايات المكاتب والكراسي والحافلات والأرصفة، وما تسجله، والتي تغرق بين مسؤول وموظف وعامل، حتى إن أسرّة الأزواج بدأت تتحدث عن هول الأزمة، ما دعاني كي أدَفع بما يجول في خواطركم، أينما كنتم، وحيثما بقيتم، أو ارتحلتم، لأنه يجول في خاطري بذات عينه، من مبدأ أنّ الهمّ واحدٌ، وآلام الفكر واحدة، والوطن واحد، وما يجري عليه يصيب كلّ واحد منا، فالحديث بهمس، أو ضمن أسرارنا، تنشره الرياح الفكرية، فيظهر جميعنا، يفكر كما يفكر الجميع بالخلاص، يبحث هائماً، ليلتقي الجميع في الهيام بحثاً عن وجودنا، وهنا أخاطب الأصدقاء قبل الأعداء، إلى أين تدفعون بنا؟ فنحن من يتشرد، ومن يستشهد، ومن يُجرح، نحن في النتيجة من يحفر القبور، ويردمها، نحن من دفع ويدفع الثمن، ليس القليل، إنما الغالي والنفيس، نحن من تسيل دماؤه إلى جانب دموعه بحرقة، وإن تكاذبنا لحظة أن نحاول رسم البسمات البسيطة على وجوه بعضنا إلا أن الجوهر حزين، لم يعد للضحكات آهات الفرح، إنما نستشعرها خفية، نحللها، نرى كمية الآلام المسكونة في جوهرنا، أيها الأصدقاء الذين أناشدكم، أسألكم عن الحلّ أو الحلول، وأقول إلى متى؟ وإلى الأعداء الذين كانوا بالأمس إخوة وأصدقاء، أقول: كفى، وإلى الأعداء الحقيقيين المشغّلين الرئيسين القابعين خلف أولئك المندفعين للقتال، أقول: إننا شعب لا ينسى، وإنّ لكل زمان دولة ورجالاً، فجيلنا القادم قبل وليدنا، يحملان ذاكرة من أساء إلى هذا الوطن، ولأبنائه، وإن كان هناك من ضريبة، كان علينا أن ندفعها، فلقد دفعنا الضريبة مئات آلاف الشهداء، ومئات آلاف الجرحى، وملايين من النازحين والمشردين والهاربين، وغدا لدينا ملايين من الفقراء، غزانا الجهل والتخلف من جديد، انظروا وتفكّروا، كم نحتاج لإعادة بناء الإنسان، ملايين من أنواع الحيوان فقدناها، ملايين الأطنان من الحبوب والأقماح سرقت، أو أبدناها، ملايين الأشجار حرقت، أو قطعت، أو حرقناها، آلاف المعامل دمرت، أو دمرناها، مخالفات مرعبة تحتاج إلى مصارحات، نجريها أمام بعضنا، كي نتخلص من مشروع ركب علينا، اسمه مشروع التكاذب، كان له غاية واحدة، تكمن في إنشاء الفواصل والنقاط، ضمن الجسد الكبير، فنجحوا إلى حدٍ رهيب، نتاج تقبلنا لمجرياته، انتهى وقت لو، وكان بالإمكان، ورمي اللوم بين هذا أو ذاك، لذلك أجد الاعتراف بأنّ أيادي الجميع في النار، وإن كان هناك من أصدقاء حقيقيين، أطالبهم بالوقوف الحقيقي معنا، وبأن يكفوا أذى الغير عنا بجرأة وصراحة، لا أن تكون مصالحهم التي نقدر حقهم في استثمارها، إلا أنّ عليهم أن يعلموا، أننا لسنا ساحة للتجارب، كما أنّ نقل حروبهم الداخلية والخارجية إلى ساحاتنا، تتضمن ألاعيب خطرة، فالعدو معرّف، وممتلئ بالعداوة، ظاهراً وباطناً، وقد خضنا الكثير من المعارك والتجارب، ونقول للجميع: كفى، حتى لنا، نحن السوريين، ينبغي أن نقول لبعضنا: كفى، للآخر دعنا وشأننا، فإما أن تكون جهاراً نهاراً صاحب وقفة حقيقية معنا، وإما فلتبتعد عنا.

أيها السوريون، هل تحولنا إلى مصاصي دماء، أو قاتلين مأجورين، عن أيّ انتماء نبحث، وانتماؤنا المسكون في أعماقنا موجود؟ إلى أين ذاهبون أوَلَمْ يكف كلّ هذا؟! ألا ينبغي أن نقول بقوة كفى، وأن نستعجل الاستفاقة سريعاً، ونتأملها بواقعية بصيرتنا، لا ببصرنا فقط كي ندرك حجم الكارثة التي حلت بنا، وحجم مصالح الآخر، مهما كان قريباً أو بعيداً، استمرار اللعبة واستثمار مصالحه، ما أثار فكري، ودعاني لأن أخرج صورة منه، وقوف شقيق كان معنا بالأمس، أخرج عداوته المطلقة أمام صديق اليوم على منبر واحد، ويخرج الطرفان؛ الأول مصرٌ على الاستمرار في العداوة، والثاني يتحدث عن وجود نقاط اختلاف حول الأزمة السورية. مبعوثون أمميون ومحافل دولية، وفود مغادرة وقادمة، ملأنا الأرض بمجريات ما يحدث بيننا، أربع سنوات ونصف السنة، وأيادي جميعنا تحترق، كيف بنا ننظر إلى الأنامل، تلتهمها النيران، أشعلها الغريب عنا، وصباح مساء يزيد في تأجيجها، ولا نطفئها؟ هل من شجاعة صادقة، أو جرأة نادرة، أو صرخة تملأ مسامع جميعنا، تُحدث التقاء واقعياً، تلغي الحواجز، تخرج المختبئين تحت الأرض، وخلف الأنقاض بالظهور، وبناء ثقة جديدة على أسس من الحوار، وإعطاء الثقة لمن يريد أن يعود بكبرياء، إن لم يكن من أجلنا، فمن أجل سورية الوطن الأرض والإنسان، الماضي والحاضر والمستقبل، هذا الاسم العظيم الذي يجب أن يبقى شامخاً وخالداً أبد الدهر؟

د. نبيل طعمة

«صرخة روح» في وجه المجتمع تعلو وتستمر ولكن!!

جنس وأمراض مجتمع شاذة تتحول إلى مسلسلات واقعية!!

إسماعيل مروة

للموسم الثالث استمر «صرخة روح» ولخصوصية الشكل والطرح لم يأخذ شكل الأجزاء التقليدية، واليوم دارت عجلة الموسم الرابع لهذا العمل، وربما لا يتوقف الأمر عند الموسم الرمضاني، وربما يزداد الطلب، فيصبح العمل والعرض على مدار العام، وربما يزيد أكثر، فيصبح العرض مباشراً.. حين جاوز العمل حداً- من الناحية الفنية والفكرية- دافع صناع العمل عن عملهم بكل الطرق، ومنها أنهم نعتوا أي منتقد بمن يدفن رأسه في الرمل، واستخدموا كل الوسائل إلا السبب الاقتصادي التجاري، وأزعم أنه السبب الأساسي لإنجاز هذه السلسلة التي ضمت نجوماً كباراً وأسماء لامعة، والذين هاجموا العمل هاجموه وهم يتابعون ويحبون، لكنهم يريدونه عرضاً خاصاً لهم، ويرونه إساءة للمجتمع السوري- وهذا حق- لكنهم يسيئون أكثر من ذلك لهذا المجتمع!

للروح صرختها

الصرخة والاحتجاج وما شابه مواجهة مباشرة للمجتمع، فما بالنا إن كان هذا الاحتجاج من الروح وما انطوت عليه، بدأت السلسلة نافرة مواجهة، لكنها كانت محكومة بالتجريب، وبانتظار ردود أفعال المتلقين، وبقدر ما كانت ردود الفعل عنيفة، كان عناد الصناع أكبر، فاستمر العمل على انجاز السلسلة، بل إنها تنجز قبل أي عمل آخر، وتجد عدداً من المخرجين والكتاب الذين يغطون المراد وزيادة، وأنا كنت واحداً ممن انتقدوا هذا العمل، ولكن نقدي يومها انصبّ على أمرين:

- الإخلاص لموضوع الخيانة والجنس.
- التركيز على تناول الجنس المحرم.

واليوم وبعد أن دارت عجلات العمل في الجزء الرابع من السلسلة لا أزال أقف عند الموضوع من هذين الرأيين، الجنس ليس وحيداً في موضوعه، وموضوعة الجنس المحرم ليست كافية، مع أن المصادفات قضت أن نرى في الصرخة ما هو في تشيللو، لكن من منظور آخر، ما ساعد على فهم آلية الصناعة، فهم يقومون بسلخ أو اقتباس أو سرقة نص أو فيلم أجنبي، ويفصلونه على مقاس الجنس في بلداننا!!

الجنس موضوع واحد

اللافت في سلسلة «صرخة روح» هو اعتماد الجنس موضوعة واحدة في العمل، فمع أن عدداً من الموضوعات ترتكز إلى قضايا نفسية، أو إلى موضوعات مأخوذة عن الفن العالمي والرواية العالمية، والدراما غير العربية، إلا أن صناع العمل تأليفاً وإنتاجاً وإخراجاً صبوا اهتمامهم على الجانب الجنسي الشهواني في العمل! وهذا الجانب موجود حتماً، وذلك رداً على سؤال صديق عزيز عندما سأل: أليس في الواقع من هذه القصص وزيادة؟! نعم هذه القصص موجودة، ولكن ضمن سياق مجتمعي متكامل، وما ارتكبه صناع العمل هو أنهم أخذوا هذا الجزء الموجود أصلاً، وإن شئت بكثرة- ومن ثم التركيز عليه تركيزاً كبيراً كما لو أنه الأمر الوحيد الذي يحرك عجلة الحياة والمجتمع، وفي ذلك تأويل خطير، وتفسير خاطئ لمجتمع متكامل أقول هذا لأن العمل مستمر، لم يقدم قصصاً وانتهى الأمر، بل إنه لا يزال يعمل، والعجلة تدور لإنجاز الجزء الرابع من هذه السلسلة، لذلك أتمنى على صناعه الذين يملكون الحرية التامة بإنجازه أن يدرسوا القضايا المطروحة أكثر، وأن يعالجوا الموضوعات النفسية والمجتمعية المرتبطة بالجانب الجنسي بشكل أكثر عمقاً، حتى لا يبدو العمل حتى بالنسبة لمتابعيه ومحبيه ومؤيديه مجرد فرجة لحكاية ترتبط بالخيانة والعلاقات المشبوهة!

> هل يشرحون المجتمعات العربية الأخرى وهي غنية بالنماذج؟

مفارقات لا تغفل

كنا في جلسة مع الأصدقاء ونحن نتابع شيئاً من هذا العمل، وعندما دار النقاش فيما بعد، والذي أخذ جانباً ساخراً، كانت الدلالات عميقة، فهذا سألته زوجته، وتلك غمز زوجها منها، وثالث، وهو مدمن على هذه العلاقات سأل زوجته إن كانت كذلك، وعندما انتهى العمل قال لها: هذا مصير الخائنة! وهو لا يقل عمّا في العمل، وقد رددت هذا إلى أن العمل أخذ موضوعته بشكل مباشر، ما يؤثر في الرؤية الاجتماعية، ويترك أثره واضحاً، وخاصة أن من يقوم بأدوار هذا العمل من النجوم المقنعين، والمؤثرين والقادرين على توصيل الرسائل بطريقة مذهلة! وهذا وإن كان بعضهم يراه في مصلحة العمل، وهو حقيقة، إلا أنه يحمل مدلولات أخرى خطيرة للغاية، ويكفي تبادل النظرات بين الموجودين حول ما دار في العمل.

الخطورة تكمن في أننا نبحث عن مجتمع منفتح واثق، نسأل عن آلية للتحرر من القيود والعادات، نسأل عن امرأة حرة ورجل حر، ولكن مثل هذا العمل يؤدي نتيجة عكسية، فنحن أمام مشهدية قد تؤدي إلى تراجع الثقة، وإلى خلق الخلافات، وإلى الارتداد عكساً، وإلى تقوقع قطبي الحياة رجلاً وامرأة، وفي ظل غياب دراسات الأثر والإحصائيات قد لا نقدر ما يمكن أن يفعله مجرد الشك بالشريك من كلا الطرفين، وبالتالي يؤدي إلى الانغلاق والتقوقع!

وأرى أن مثل هذه الموضوعات يجب ألا تبقى بعيدة عن الرصد والمتابعة والتمثيل، ولكن أن تكون محوراً ضمن محاور والرسائل تصل ضمن منظومة لا تقوم على الجنس والعلاقات المحرمة وحدهما.

نماذج لا تقل ولكن

كان صرخة روح يؤدي دوره، يعرض ويتابعه المتابعون، وفي الوقت نفسه عرضت أعمال أخرى، كانت هذه الأعمال مؤثرة، وخاطبت المجتمع والسياسة، ولكنها لم تغفل عن الجوانب التي تعرض لها «صرخة روح» فرأينا المساكنة بسبب الفقر، لتلك الصبية التي تفككت أسرتها بالطلاق، ووجدت حاجتها لدى والد صديقتها، ورأينا المساكنة الإرادية عند الشباب عندما اختارت الفتاة بملء إرادتها أن تحزم حقيبتها لتعيش مع صديقها وصديقتها، وسمعنا حديثاً مباشراً عن العلاقة والعلاقة الكاملة، ليقرر بعدها أحدهما المتابعة مع صديقه أو التوقف!

ورأينا الظروف الغامضة والعلاقات المتعددة والمشبوهة المرتبطة بالمصالح، وهكذا.. وفي النماذج المذكورة تحركت المياه، طرحت الأسئلة، وتلقى أحد أصدقائي أسئلة مباشرة من أسرته فيما إذا كان يقوم بمثل هذه العلاقات، بل وسببت فتوراً أسرياً لدى فئة من الناس داخل الأسر، لأن الظن ذهب إلى أنه يمكن لهذا أن يفعل، ولتلك أن تفعل، وفي أحد الأعمال المهمة، نسي المشاهد أو تناسى محور الحكاية ليصب اهتمامه على الحكاية الفرعية، أو الخط الدرامي الموازي المتعلق بالعلاقات غير الرسمية، وهذا يؤكد وجهة النظر التي تتناول العمل الدرامي كتلة متكاملة يمكن أن يحمل الرسائل المتعددة، ومهما كانت النتائج، فإنها في العمل الذي تمثل هذه العلاقات خطأً، يمكن أن تكون وازعاً ورادعاً للانجراف، وخاصة للفتيات اللواتي أصبحن أكثر قدرة على الرؤية العميقة للمشهد الذي يعرض، ويمكن لـ«صرخة روح» أن يؤدي الغرض ذاته دون زرع الشكوك في نفوس المتلقين، حتى من الذين يملكون التحرر أو يدّعونه!

الواقع والروح

رأينا قصصاً لها علاقة بالدراما العالمية والسينما، ورأينا قصصاً نبتت في مجتمعاتنا، ولكن أليس بإمكان صناع العمل أن يسلطوا الضوء على أسباب هذه القصص ومعالجتها؟ وخاصة ضمن الظروف التي تعيشها بلداننا، فهل تحوّل همّ المجتمع إلى الجنس؟ وهل صار بمقدور كل منا أن يصلب الآخر وأن يحمله وزر الخطايا دون النظر إلى الحكاية وأبعادها؟

الجنس محرك أساسي، ومن غير المنطقي أن يتم إغفاله في أي عمل درامي، وعند إغفاله نكون حقاً كمن يترك المرض مستشرياً، لكن على الدراما أن تنظر إليه وتعالجه للوصول إلى الأرقى، أو إلى معالجته، لا أن تعطي صورة محببة لما هو مرفوض أصلاً! بل إن بعض القصص تحاول أن توجد الأعذار للذين تورطوا في مثل هذه الأعمال! ومهما كان من أمر الصورة في تشيللو أو الحكاية التي أخذت عنه، فنحن أمام تجارة الرقيق الأبيض بقفازات ناعمة، وفي مجتمع مخملي، ولا يغير في الموضوع أن يكون هؤلاء من المحبوبين الذين نسوغ لهم ما فعلوا! ولا يستحق منا هذا الغني المتسلط الذي يدفع الأموال الطائلة لامتلاك جسد أي نوع من الاهتمام أو التعاطف أو التأمل، ويمكن أن تتم معالجته بما يجعله غير قابل للتكرار، وتتم إدانة الشاري والمشترى في الوقت نفسه، ويمكن أن ندين الظرف الاجتماعي أو ما شابه.

حتى في قضايا الإعلام ورسائله تتم الإشارة إلى الدراما السورية وتأثيرها، ومن الغباء ألا نعرف أثر الدراما في المجتمع، ونتيجة لهذا الأثر الملموس علينا أن نرتقي برسائلنا، وأن نقدمها ضمن النسيج الاجتماعي بكل جرأة وشفافية... لا يجوز إهمال أي جزء من النسيج بداعي العيب، ولكن لا يجوز في الوقت نفسه أن نفعل العكس بداعي أنه ما من أمر لا تتم مناقشته، تتم ولكن ضمن النسيج، وذلك بعيداً عن الشعارات التي تقول: إن هذه الأعمال تسيء إلى المجتمع السوري، فطالما أقررنا بوجودها لا يوجد إساءة، ولكن الإساءة في طريقة التوجيه والإرسال.

في ندوة تلفزيونية مع أحد كتاب مثل هذه الأعمال دافع بضراوة عن ضرورة التشريح وعدم إغماض العين عن وجود مثل هذه القضايا، وللمصادفة، فإن هذا الكاتب أنجز أعمالاً لدول عربية أخرى، أي من الأعمال التي تتناول تلك البيئات، وبلهجاتها، ولأن كاتبنا كاتب بيئة بامتياز وقع عليه الاختيار ليكتب لهم، فسألته يوماً: كتبت عن البيئات العربية، فهل كتبت حرفاً واحداً مما كتبته في أعمالك التشريحية لعهر المجتمع؟ فقال: لا، ليس بالإمكان فنحن نتحدث عن مجتمع آخر!

اللهجة والمكان والممثل علامات بيئة، والأمر ليس كما في الإخوة وغيره غير معروف المعالم، ومن حق المجتمع أن يطلب المساواة بالمجتمعات الأخرى التي يكتب لها كتابنا، ويخرج مخرجونا، وينتج منتجونا، وخاصة أن المجتمعات برمتها ليست بريئة من هذه الموضوعات.

لا أقول في الأمر إساءة مجتمعية إلا عندما أجد مجتمعنا مخصوصاً بالتشريح، والمجتمعات الأخرى تبدو طاهرة بيضاء، وبما أن الدراما العربية صارت مشتركة، هل يستطيع أصحاب (صرخة روح) أو غيرهم أن يضعوا صوراً للمجتمعات الأخرى؟ هل يستطيعون تشخيص السائح الذي يبحث في الكباريهات، وصرخة روح امرأته في مكان آخر؟ لا أظن.

تاريخ مملكة إبلا وآثارها

دولة منظمة تشكل سبقاً في التمدن والاستقرار البشري

وائل العدس

يرصد كتاب «تاريخ مملكة إبلا وآثارها» في مئتي صفحة مراحل تاريخ إبلا منذ البدايات الأولى حتى الزوال، معتمداً على المحفوظات الملكية الإبلوية وعلى الآثار المختلفة المكتشفة في موقع تل مرديخ التي كشفت عنها بعثة التنقيب الأثرية الإيطالية في جامعة روما التي بدأت بالحفريات في الموقع في مواسم متتالية منذ العام ١٩٦٤ ولم تنته بعد من الكشف عن كل آثار الموقع.

واعتمد عيد مرعي في كتابه الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب على معظم الدراسات التي صدرت عن تاريخ إبلا وآثارها بلغات أجنبية متعددة، إنكليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية، كتبها كبار المختصين بتاريخ الشرق القديم ولغاته، في حين كان دافعه لإصدار كتابه قلة الدراسات العربية، واعتماد بعضها على هواة لا علاقة لهم بتاريخ سورية القديم.

ويتألف الكتاب من ثمانية فصول تتحدث بمجملها عن أهمية تاريخ سورية القديم، وموقع إبلا وقصة اكتشافها، وعن الحياتين السياسية والاقتصادية فيها، ولغة إبلا وثقافتها، والمعتقدات الدينية، وعصر ازدهار إبلا الثاني ونهايتها، إضافة إلى الدراسات الإبلوية، وإليكم أهم ما جاء في الكتاب:

القوة السياسية

تقع إبلا في موقع تل مرديخ الحالي الواقع في منطقة سهلية بالقرب من بلدة سراقب في محافظة إدلب، على بعد خمسة وخمسين كلم جنوب غربي حلب، بالقرب من طريق المواصلات الرئيس الواصل بين حلب وحماة.

وقد لفت هذا التل انتباه المختصين بالآثار، سواء من حيث حجمه الكبير أو بسبب العثور على سطحه على كسرات من الفخار وعلى حوض حجري قديم من البازلت تاريخه ما بين ١٩٠٠- ١٨٥٠ ق.م، نحتت على سطحه الخارجي أشكال نافرة لأشخاص وأسود ومشاهد دينية وأسطورية وحربية.

كان يحكم مملكة إبلا حاكم تطلق عليه النصوص غالباً اللقب السوري «إن» الذي يعني سيداً، وكان النظام الملكي السائد فيها شأنها في ذلك شأن ممالك الشرق القديم الأخرى، وغالباً ما كان الابن يرث أباه في سدة الحكم.

وارتبطت إبلا بعلاقات سياسية وعسكرية متفاوتة الدرجة مع الممالك والبلدات والمدن المعاصرة لها، وتوجد نسخة من رسالة يفترض أن ملك إبلا أرسلها إلى مملكة خمازي تعطي فكرة عن العلاقات السياسية التي كانت تربط إبلا مع ممالك العصر الأخرى.

ويبدو أن إبلا ارتبطت بعلاقات سياسية وعسكرية مضطربة مع ماري عاصمة منطقة الفرات الأوسط التي لعبت دوراً مهماً طيلة تاريخها بين بلاد الرافدين وسورية.

وكانت إبلا دولة منظمة عرف سكانها وطبقوا تقاليد عريقة في السياسة وإدارة شؤون الحكم، في دلالة على سبق كبير في ميدان التمدن والاستقرار البشري ونشوء الدولة التاريخي المهم الذي أدته سورية خلال الألف الثالث قبل الميلاد، واستمرت في تأديته خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد وفي كل العصور التالية.

واللافت إلى الانتباه عدم وجود نصوص تتحدث عن حملات عسكرية على المناطق المجاورة، أو معارك مظفرة خاضها ملوك إبلا وقادتها العسكريون، لكنها كانت قوة سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى.

الجانب السياسي

كانت إبلا مملكة زراعية اعتمد اقتصادها على استغلال التربة وتربية الحيوانات مستفيداً من التربة الخصبة والمراعي الواسعة، كما اهتم الإبلويون بالصناعة والحرف المختلفة، وكان للتجارة دور بارز في الحياة الاقتصادية.

شكلت سهول إبلا الخصبة المحصورة بين الجبال الساحلية والهضاب المرتفعة في الغرب ومنطقة البادية السهلية في الشرق بيئة مناسبة للزراعة البعلية، إذ إنها تتلقى كميات كبيرة من الأمطار تتراوح بين ٥٠٠ ملم في الغرب وبالقرب من إدلب، و٢٥٠ ملم في الشرق في مرتفعات أبو الضهور، وقد سمح سقوط الأمطار بهذه المعدلات بإقامة زراعة الحبوب.

كما استفاد الإبلويون من مياه نهر قويق في ممارسة نوع من الزراعة المروية، وكانت المناطق الغربية القريبة من الهضاب والجبال مناسبة لزراعة الزيتون والعنب والأشجار المثمرة بشكل عام.

من ناحية ثانية، كونت الصناعة والحرف ركناً أساسياً من أركان غنى المملكة وازدهارها، وتعد صناعة الأنسجة من أهم الصناعات التي كانت تعتمد على الأصواف المنتجة محلياً، وعلى الكتان الذي كان يزرع بمساحات واسعة.

وبما يتعلق بالواردات فتأتي في مقدمتها المعادن ولاسيما الثمينة كالفضة والذهب، ثم تأتي المعادن الأخرى كالقصدير والنحاس.

وقد امتدت العلاقات التجارية من بلاد الرافدين في الشرق إلى وادي النيل في الجنوب الغربي وشملت الكثير من المدن المشهورة.

الثقافة العريقة

كشفت المحفوظات الملكية الإبلوية عن حضارة مزدهرة كانت قائمة في شمالي سورية في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، ولها لغتها الخاصة، وتقاليدها الثقافية العريقة، وعلاقاتها الحضارية مع الحضارات الأخرى التي عاصرتها في المناطق المجاورة لسورية.

وارتبطت بعلاقات ثقافية متينة مع مدن جنوبي بلاد الرافدين برزت بشكل واضح في تبني نظام الكتابة المسمارية الذي اخترع وساد في تلك المنطقة.